

سيرة الشيخ المقاوم التلي بلكل 1790=1854م
من خلال توثيق الأدب الشعبي والمصادر الفرنسية.

*Biography Of the resistant
Cheikh "Telli Bellak'hal" 1790- 1854 through popular
literature documentation and French sources*

المسعود بن سالم.

-جامعة زيان عاشور؛ الجلفة (الجزائر).

- البريد الإلكتروني: Dr.bensalem17@gmail.com

تاريخ الإرسال: 2025/10/31؛ تاريخ القبول: 2025/11/11؛ تاريخ النشر: 2025/12/15.

الملخص:

في هذا البحث سنتصدى لوضع أول سيرة علمية للشيخ المقاوم "التلي بلكل" أحد رواد المقاومة الشعبية ضد الاحتلال الفرنسي منذ تاريخ انخراطه فيها مع الأمير عبد القادر سنة 1836م إلى غاية التاريخ المفترض لوفاته سنة 1854م.

تهدف الدراسة إلى استغلال أربعة أنواع من المصادر في عملية التأريخ لهذه الشخصية أحدها مصدر شفهي وهو يتناول التوثيق المرتبطة بالأدب الشعبي عن التلي بلكل في الشعر الملحون والأمثال والحكم والقصص الشعبية، والمصادر الأخرى هي فرنسية بالأساس وتتراوح ما بين الأرشيف الكولونيالي والصحافة الفرنسية والكتابات المختلفة وقت الاحتلال (أعمال مؤرخين ومذكرات ضباط فرنسيين).

الكلمات المفتاحية: التلي بلكل؛ المقاومة الشعبية؛ أولاد نايل؛ الأدب الشعبي؛ الأرشيف الفرنسي.

Abstract:

This study aims to be the first scientific biography of the resistant Cheikh "Telli Bellak'hal," who is one of the popular resistance pioneers against French occupation, starting with his adherence to Emir Abdelkader's resistance in 1836 until his presumed death in 1854.

To fulfill this goal, we exploited four types of sources. The first is the oral tradition linked to popular literature about Telli Bellak'hal (popular proverbs, maxims, and tales). The other sources are French occupational documentation (colonial archives, press, historical articles, and French officers' memoirs).

Keywords: Telli Bellak'hal; Popular resistance; Ouled Nail; Popular literature; French Archives.

مقدمة:

الكتابة عن فترة المقاومة الشعبية تحكمها عدة صعوبات أهمها بُعد الفترة الزمنية والتفريط في توثيق الرواية الشفوية، ولاسيما الأدب الشعبي منها، لهذا يأتي الأرشيف العسكري الفرنسي في المقام الأول كمصدر نتعامل معه بحذر لاستخراج تاريخ هذه الفترة الحرجة من تاريخ الجزائر مع تجشّم عناء الترجمة، ...، وفي هذا البحث سنرجع إلى فترة ربع القرن الأول للاحتلال الفرنسي أي بين سنتي 1830م و1854م مع بطل من أبطال المقاومة الشعبية الذي لم ينل حظه من الكتابة التاريخية رغم حضور اسمه في مراسلات ووثائق وصحافة العدو الفرنسي ... إنه الشيخ التلي بلكل المولود سنة 1790م، ترجيحاً، والمتوفى سنة 1854م (أنظر التعليق رقم 1)، رجل شارك في جلّ المقاومات

الشعبية التي عاصرها بدءا بالأمير عبد القادر ووصولاً إلى مقاومة شريف ورقلة الشيخ محمد بن عبد الله ليتردد صدى اسمه في بلاد أولاد نايل والأغواط وبوسعادة والزيان وبلاد واد ريغ وصولاً إلى الحدود مع تونس.

يعود اهتمامنا بسيرة التلي بلكل إلى أنه يمثل جزءاً من ذاكرتنا الشعبية التي خلّدتها في حكايات الأجداد والأمثال والأشعار الشعبية المتداولة عنه إلى اليوم. وفي فترة لاحقة وجدناه مذكوراً في المصادر الوثائقية الفرنسية من صحافة كولونiale وكتب تاريخية وفي سجلات مركز أرشيف ما وراء البحار.

من هنا تبسط أمامنا إشكالية تتمثل في غياب أي بحث مفرد لهذه الشخصية باستغلال ما سبق ذكره بل فقط شظايا وجمل موزعة هنا وهناك لكن بصفة عابرة فقط.

فما الذي يمكن أن نفيد به من المصادر والمراجع المتوفرة لبناء سيرة تليق بسيرة هذا الرجل؟ وما الذي يمكن أن يضيفه الأدب الشعبي الموثق للإمام بأبعاد هذه الشخصية المقاومة؟

من أجل الإجابة على هذه الإشكالية سنستثمر فيما تمكّننا من جمعه من مصادر متنوعة سواء المتوارثة شفها أو المكتوبة، وفقاً لمقاربة منهجية نزاج فيها بين البحث الميداني (تقنيًا المقابلة والمشاركة في جمع بعض مواد الأدب الشعبي) والمنهج التاريخي الذي لا يقف عند حدود الوصف أو التسليم بمحتوى الوثيقة بل يتجاوزها إلى استنطاقها وتحليلها ومقارنتها بنظائرها في نفس سياقها الزماني والمكاني. كما

سنستخدم المنهج الوصفي من أجل الشرح للسياقات التي وقعت فيها الأحداث كلما رأينا ذلك ضروريا لإجلاء الغموض.

سننّبع في دراستنا خطّة تحترم كرونولوجيا الأحداث لكن سنبدأها بنبذة عن ميلاده ونشأته ثم نتبعها بتقسيم الدراسة إلى جزأين، في الجزء الأول سنتناول شخصية الشيخ التلي بلكل من خلال الأدب الشعبي (الشعر الملحون، الأمثال والحكم الشعبية، القصص الشعبية)، وفي الجزء الثاني نتناول شخصيته المقاومة للاحتلال الفرنسي من خلال الاتكاء على المصادر الفرنسية التي توفرت لنا (الأرشيف، الصحافة، التقارير والأبحاث المنشورة بالكتب والمجلات).

1. الميلاد والنشأة:

هو الشيخ التلي بن لكحل بن لخضر (المكنى قوريدة) بن براهيم شريك بن سي أحمد بن سي أمحمد بن عبد الرحمان بن سالم بن مليك بن سيدي محمد نايل بن عبد الله، ينتمي إلى قبيلة أولاد سي أحمد وهم فرع من أولاد نايل ومضاربهم معروفة بمنطقة الزعفران بوسط ولاية الجلفة.

تربى ونشأ التلي بلكل على حياة البدو الرحّل التي كانت تتميز بقيم الفروسية والكرم ونجدة المظلوم، ومن الناحية الاقتصادية كانت المعيشة تعتمد على تربية المواشي وفقا لنظام الترحال فضلا عن ممارسة التجارة بين التل والصحراء. وهكذا كانت نشأته في بلاد أولاد نايل التي أعطانا حدودها الشيخ عبد الرحمان التليلاني سنة 1816م بمناسبة رحلته من قصور توات إلى العاصمة الجزائر، حيث

يقول "هم أكثر العرب رجالا وماشية وخيلا، ومساكنهم ما بين اقسمطين (قسنطينة) والجزائر وبسعاد (بوسعادة) وواد الجير امزاب وورقل (ورقلة) وتقرت والقرار (القرارة)" (التيلاني، 2015م: 464).

مما اشتهر به الشيخ التلي بلكل الحكمة والشجاعة في الأخلاق ومن الناحية الجسدية يروى عنه أنه كان قصير القامة. ومما وثقه الفرنسيون ما ذكره الجنرال مارغريت في كتابه التوثيقي عن الصيد بالجزائر (Marguerite, 1869: 156) عن أشهر الصيادين بالصقور (البيّازون) ويذكر في أولاد نايل شخصيتين هما "التلي بلكل" والمقاوم "الشيخ قويدر بن لقبج"، علما أن هذا الأخير انضم إلى مقاومة الشيخ موسى بن الحسن الدرقاوي سنة 1849 حسب تقرير أرشيفي (مقاومة الدرقاوي، 2017م: 279).

يُعتبر الشيخ التلي بلكل شخصية مخضرمة عاصرت العهد العثماني وخصوصا فترة الاضطرابات التي صاحبت التمرد الضريبي لأولاد نايل ومعها معارك الكر والفر ضد الحملات العثمانية لجمع الضرائب، فاكسب بذلك تمرّسا في فترة مبكّرة على القتال فضلا عن الاضطرابات البينية آنذاك بسبب التدافع بين القبائل والرغبة في السيطرة على طرق التجارة وممرات القوافل.

من بين قادة العهد العثماني الذين تعاملوا مع التلي بوكحيل نذكر "يحيى آغا الجزائر". يقول فيدرمان/ أوكايتان في دراستهما عن التيطري في العهد العثماني إن "يحيى آغا" قد اتبع سياسة حكيمة مع قبائل جنوب التيطري زواج فيها بين الغزوات السريعة والمعاملة الجيدة مع بعض القادة ومنهم المقرّي وبلقاسم برّعّاش والتلي ومرزوق والجديد ومنصور وغيرهم فصاروا بمثابة أصدقائه المقربين، وجعلهم

"رعايا" تابعين لسلطته مباشرة بعد إعفائهم من تبعية سلطة باي التيطري (Revue Africaine, No54/1865: 298- 299).

2. شخصية التلي بلكل في توثيقات الأدب الشعبي:

أ. في الشعر الملحون:

من المعروف أن أولاد نايل لديهم رحلتان في العام: "رحلة الصيف" التي يقضونها في حصائد التل بالشمال من شهر ماي إلى بداية الخريف، أما الرحلة الثانية فهي "رحلة الشتاء" التي يتجهون فيها إلى الصحراء بقوافلهم التجارية ومواشيهم فينقلون الحبوب والسلع من الشمال إلى أسواق القصور الصحراوية في كل من الأغواط وتقرت ووادي ميزاب ومثلي الشعانبة.

يقول المترجم العسكري أنطوان آرنو، بمناسبة رحلته بقصور مسعد سنة 1861م، إن القوافل التي تسافر بين بوسعادة إلى ميزاب وقوافل أولاد نايل أو قبائل الشمال تمر جميعها بمسعد وتنتقل إلى الصحراء، وفي سوق تقرت ودشرات الجنوب تقايض التمور بالقمح أو الوقيد "فضلات الإبل" (بن سالم، 2025م، ص 130). والعلاقات بين منطقة تقرت وأولاد نايل ليست محصورة في التجارة فقط بل هناك هجرة بينية متبادلة بين قبائل المنطقتين، فعلى سبيل المثال يوثق لنا آرنو التشكيلة القبلية لمؤسسي قصر عمورة (75 كم جنوب الجلفة في جبل بوكحيل) ويذكر لنا هجرة أولاد سلطان، وهُم من ذرية "أولاد جلاب" سلاطين تقرت، فهاجرت منهم عائلة وانتقلت من تقرت قصر عمورة (بن سالم، 2025م: 107).

إن هذه العلاقات الاجتماعية والتجارية بين أولاد نايل وأسواق تقرت تكشف جزءا من الخلفية التي وُحِّدت المقاومة الشعبية وجعلت

هذه الربوع مسرحا لها كما سنرى في نهاية البحث. وحتى في فترة الاحتلال الفرنسي واشتداد المقاومة الشعبية لم تتوقف العلاقات التجارية باعتبارها عصب الحياة. فبالنسبة لعائلة التلي بلكل فهم كانوا معروفين بأنهم فرسان ذوي شكيمة قوية ولهذا كانت لهم قوافلهم التجارية نحو الصحراء والتي تتطلب التأمين والحماية من قطاع الطرق. وفي العهد العثماني كان "الشيخ التلي بلكل"، ممن يمارسون التجارة مع قصور الصحراء. يروي لنا عمي عبد الهادي بونيف (المولود سنة 1946م) عن أمه (1927م - 1974م) أهدوجة غنائية من العهد العثماني عن القبيلة لما كانت ترحل إلى الصحراء بقيادة "الشيخ التلي بلكل"، وهي أهدوجة طويلة، يقول الراوي، لكنه لا يحفظ منها سوى هذا البيت:

قَبْلَ قَبْلٍ يَا بَلْكَلْ.

الصحراء طابت غير جنان (أنظر التعليق رقم 2).

ومما يُروى من الشعر الملحون في وفاة الشيخ التلي بلكل بيت شعري يتيم ينعي خبر وفاته مع إيراد سبب ذلك وهو الغرق:

ما قاضتني قا شعبة نقلت واد.

واللّي واد إذا نقل واد يُقَطِّيه (يُعْطِيه).

يقول الراوي إن الشاعر قد شبه الوادي أمام التلي بالشعبة وشبه التلي بالوادي ... وجعله في الشطر الثاني هو من يغطي على الواد (أنظر التعليق رقم 3) وهنا نستشف أن خبر فيضان الوادي كان حدثا مهما آنذاك بسبب شح الأمطار واستغلال الفيضان في السقي لكن لما اقترن

ذلك بغرق البطل التلي بلكل ضاع خبر الفيضان وغطى عليه خبر
استشهاد المقاوم.

لقد ظلّ المقاوم التلي بلكل مضرب المثل في الشعر الملحون
ولهذا سنجد اسمه موثقاً في بيت شعري ضمن مساجلة شعرية منظومة
قبل سنة 1921، وهي مشهورة في التراث الشعبي لأولاد نايل بين
الشاعرين الكبيرين أحمد شليقم (1860 - 1921) وعلال صرصاب بن
علي. يقول الشاعر في أحد مقاطع السجال التي وثقها بطلب منا الشاعر
الباحث الطاهر بن سعد بلخيري:

ماك عزّيز مأك مولاي الطيب.

ماك التلي يكفت الشاوّل الاعقاب.

ماك ركيزة عرش لا باب تبوّب.

غير عمّيد سابعة سامك لطناب.

هنا يقول له أنت لست أحداً من هؤلاء الرجال، (كلمة "ماك"
نحت للعبارة "ما نراك")، وذكر له ثلاث مقاومين من نفس القبيلة وهم
عزّيز ومولاي الطيب (بوشندوقة) والتلي بلكل في الشطر الثاني في
صورة بيانية عن قدرته في الوصل بين بداية الشيء ونهايته. والبيت يدلّ
على أن المقاوم التلي بلكل كان ما يزال في بداية القرن العشرين
مضرب المثل في قوته وتعجيز من يدّعي ذلك بالإشارة إلى قوة هذا
الرجل.

ومما وثّق في التراث الغنائي أهزوجة "تشدّ" أخبرنا بها الراوي
عمّي عبد الهادي بونيف. وكانت ترددها الجدات في الماضي عن التلي

بلكمل، وتأسف محدثنا عن أنه لا يحفظ سوى مقطعا واحدا من الأهلوجة وهو:

يبات يسير ** يبات يقير.

يبات يقطع في الشبيرة ** تبات كحيلة مثنية.

"يقير" أي يُغير من الإغارة والغين تنطق قافا في لسان أهل الجلفة، "يقطع في الشبيرة" بمعنى يسير ويتنقل، "كحيلة مثنية" هي قطع الإبل التي أعيها المسير فتبيت ليها مثنية الأرجل لشدة تعبها.

ب. في الأمثال الشعبية:

المثل الشعبي "هنا يتفرقو الرجالة": وهو عن قصة عن عجوز تعجبت من شجاعته فأرادت أن تشبره وهو نائم فلما وصلت إلى موضع قلبه أمسك بيدها فجأة وقال لها "هنا يتفرقو الرجالة" أي العبرة بالشجاعة ومحلها القلب وليست بطول القامة، وقد صارت هذه المقولة مثلا ساريا إلى اليوم.

المثل الشعبي "أنا ماني طماع وربّي ماهو غدار": لقد خلدت تلك الإجابة للشيخ التلي في الذاكرة الشعبية، وصارت مثلا متداولًا لما أجاب سائله عن سرّ شجاعته قائلا "أنا ماني طماع وربّي ماهو غدار". وهذا كناية عن زهده في الحياة واستعداده الدائم لخوض غمار الحرب من جهة، ومن جهة ثانية قوة إيمانه بالله عز وجل والثقة في القضاء والقدر الذين سطرهما له المولى جلّ وعلا.

المثل الشعبي "أرنب العمور قاع خالتي": هي بمثابة حادثة تاريخية لها دلالتها المعنوية والأخلاقية والتاريخية، فتذكر الذاكرة الشعبية أنه في إحدى المرات كان أولاد يعقوب زرارة ذاهبين للغزو ناحية

الجنوب (الغرب) وكان معهم المقاوم التلي بلكل، وبينما هم يمشون إذ انطلقت أرنب من مخبئها، فأراد أحد بجانبه أن يطلق عليها، فلطم بندقيته إلى الأعلى فأخطأها، ولما استفسر منه عن فعلته، أجابه بأن أرنب الغرب كلها خالتي، وهنا أدرك القوم أن الرجل جاد، وأنه ما دام بينهم فلن يغزو أبداً، فالذي أجار أرنباً (حيواناً!) لن يتوانى قيد أنملة في أن يدافع عن إنسان ويجيره (لبوخ، 2024: 439).

المثل الشعبي "عقد التلي شكون يردّو": أي بمعنى من يستطيع أن يردّ "عقد التلي"؟، و"العقد" هنا هو بمثابة كتيبة الفرسان. وهذه الكلمة عربية فصيحة من عبارة "أهل العقد والحل" أي قادة القبائل وأصحاب الرأي فيها، وهي من معنى الفعل "عقد له لواء الجيش" أي جعل القيادة له.

ج. في القصص الشعبي المتواتر:

قصة "فارس الكنانة": من القصص الشعبية المتواترة عن الاقتداء بهمة وشجاعة التلي بلكل قصة "فارس الكنانة" وهو رجل من قرابة مباشرة له. يروى أن الشيخ "التلي بلكل" دعا رؤساء الفرق إلى اجتماع طارئ لنجدة بني عمومته الذين سُرقت أموالهم في مضاربهم. وبدأ الاستعداد لخوض هذه الحرب وتتبع الخونة الذين أتوا من بعيد،...، فطلب أحد وجهاء القبيلة من فارس من آل كند "الكنانة" أن يُجهز فرسه ويُعيرها له وأن يبقى هو مع النساء والأطفال،...، فغضب الفارس وشعر بالإهانة الشديدة إذ كيف أن الرجال تُجهز للحرب لاستعادة شرف القبيلة بينما يقدم هو فرسه المُدربة للحرب ويبقى مع النساء، وفي خضم هذه التحضيرات ذهب

الفارس إلى بيته مسرعا وحمل سلاحه وأخذ زاده وركب فرسه وخرج في ليله وحيدا إلى الوجهة التي سار إليها قطاع الطرق، وتصيّد الغزاة في الليل وأثخن فيهم الجراح (أنظر التعليق رقم 4).

قصة "الفتاة الأعرايية والفارس الكميّتي": ومختصرها أن فتاة كانت تسأل أمها عن الفارس الذي أعجز فرنسا فأشارت الأم إلى التلي بلكل فقالت الفتاة متعجبة "هذا الكميّتي؟ (أي قصير القامة بالدارجة) وسمعها التلي وتبسم لم يُجيبها. ثم إن النجع تعرض بعد ذلك لهجوم من لصوص فأوثقوا الرجال بالحبال وساقوا الأموال وأخذوا النساء سبايا ومضوا بهن،...، ولكن رجلا من القوم استطاع أن يتخلص من الحبال ليطير سريعا باحثا عن "التلي بلكل" فوجده يتأهب لغزوة فقص عليه الخبر واستفهم التلي عن عددهم،...، وحين علم أن عددهم لا يستدعي جمعا وخطة وأنه وحده يستطيع أن يُخلصهم مضى إلى ذلك فردا،...، ولحق بهم وأصاب أربعة وفر الباقي،...، وخلّص النسوة الأسيرات وفك وثاقهن،...، وهنا التفت إلى الفتاة التي وصفته بالكميّتي،...، وقال لها "هل عرفت يا ابنتي ماذا يفعل الكميّتي؟" فاستحييت ونكست رأسها خجلا (أنظر التعليق رقم 5).

3. شخصية التلي بلكل في المصادر الفرنسية:

1.3. مع الأمير عبد القادر 1836م - 1847م:

انخرط أولاد نايل في مقاومة الأمير عبد القادر موثق في العديد من مصادر التاريخ للقرن التاسع عشر سواء التقارير والمراسلات العسكرية أو في كتب المؤرخين الفرنسيين أنفسهم.

تعود مبايعة أولاد نايل للأمير عبد القادر إلى سنة 1836م ضمن سياسته لتوسيع دولته والتحرك شرقا وجنوبا. ورحلة مبايعة الأمير عبد القادر في بلاد أولاد نايل موثقة ومسارها معروف وقد تكلل لقاء المبايعة بتعيين خليفة لأولاد نايل وستة من شيوخ قبائل أولاد نايل ضمن دولة الأمير (De Villaret, 1995: 110- 111). ومنهم التلي بلكل برتبة شيخ ثم عين الأمير ثلاث آغوات من أولاد نايل ومنهم التلي بلكل برتبة آغا على قبيلة أولاد سي أحمد (De Villaret, 113).

ومما يدلّ على الولاء الشديد الذي يُكنّه الشيخ التلي بلكل للأمير عبد القادر تسمية أحد أبنائه باسم والد الأمير أي الشيخ "محي الدين" (أنظر التعليق رقم 6) وقد أثبت التلي بلكل هذا الولاء في الميدان إلى غاية استسلام الأمير عبد القادر سنة 1847م تحت وطأة سياسة الأرض المحروقة.

2.3. خلال الفترة 1844م-1845م:

رغم أن أولاد نايل قد انخرطوا في المقاومة الشعبية في فترة مبكرة جدا من الاحتلال الفرنسي مع الشيخ موسى الدرقاوي منذ سنة 1831م (مقاومة الدرقاوي، 2017م: 107 - 121) ثم مع الأمير عبد القادر منذ سنة 1836، إلا أن أول حملة عسكرية وصلت إليهم هي حملة الجنرال ماري مونج الأولى في ربيع سنة 1844م.

وحسب تقرير قائد الحملة الجنرال مونج *Marey Monge*، المنشور بصحيفة الشرق الفرنسية، فقد جاءت الأوامر يوم 12 أفريل 1844 أين تجمّع له 1500 جندي فرنسي في البداية ثم جرى تدعيمهم فارتفع عددهم يوم 17 أفريل 1844م إلى 2800 جندي منهم 1700 مشاة

و140 فارس نظامي ومدفعين جبليين بمقدار 80 قذيفة لكل واحدة و30 رجلا من قوات المدفعية مسلحين ببنادق ذات الماسورة الطويلة والأهداف البعيدة، وتم في هذه الحملة تشكيل فيلق المهاري (محمول على الجمال)، و400 خيَّال (القوم) مع 300 مجند لخدمات متنوعة من الموالين لفرنسا و1400 بهيمة نقل (بغال وحمير وخیل وجمال) ومؤونة 21 يوم و72000 خرطوشة و60 خرطوشة لكل مجند (Monge, 1845: 34-35).

انطلقت الحملة من المدينة بعد أن وصلتها فرق من البلدية وبوفاريك، لتجوب بلاد أولاد نايل من زاغر شمالا إلى جبال السحاري بقصورها ووصولاً إلى جنوب المنطقة في قصر زكار. وقد دخل الجنرال مونج عبر جبال العمور (100 كلم شمال الأغواط) أين صار تعداد رجاله 2800 عسكري ووجد في استقباله في قصر تاجموت شيخ الأغواط أحمد بن سالم والقادة الرئيسيين ما عدا شيخ زاوية عين ماضي الذي بعث رسالة استسلام وحصان. وواصل مونج مسيره أين استسلمت له قصور الأغواط واستقبل هناك بترحاب حسب ذات التقرير. كما يذكر مونج أن "يحيى بن سالم"، شقيق خليفة فرنسا على الأغواط، استغل وجود الحملة الفرنسية لكي يجمع الزكاة المفروضة على أولاد نايل (Monge, 1845: 36-37).

من خلال تقرير الجنرال ماري مونج يتضح لنا أنه لم يخض أي معركة في حملة سنة 1844، فزيادة على ضخامة تعدادها وعدتها، فإن مونج يخبرنا بنفسه أنه سيتجنب ربوع أولاد نايل في طريق الرجوع إذ يقول "كان يمكنني أن أرجع بالمرور عبر طريق أولاد نايل لكن مُعسكرنا قد سبب اضطراباً كبيراً بين هذه القبيلة التي لم تكن تثق

فيما لتجنب سيناريو الفرار، لذلك فضلتُ اتباع الطريق الذي جئتُ معه لأنني خُبرتُ هناك وفرة الماء والحطب والعشب (Monge, 1845: 38). ولعل هناك سببا آخر لعدم مبادرة أولاد نايل بمهاجمة حملة مونج وهو أنه سيصبح حتما مدعوما بخليفة الأغواط أحمد بن سالم قد أعلن ولاءه لفرنسا وحارب الأمير عبد القادر حسب تقرير مونج ذاته، لكننا سنجد ذلك أكثر وضوحا في الرسالة التي بعثها بن سالم إلى الوالي العام للجزائر في مارس من سنة 1843 وفيها يخاطبه "إن أردت أن يكون الأمر كما تبع ويتم الأمر على ما تحب وترضى اجعل قصور الصحراء على أيدينا وكذلك أعرابها وأمر الحاج عبد القادر لا نحب ولا نحب من يحب ونفقيه من الوطن الذي بنواحيها" (قنان، 2016: 92) وهذا إعلان صريح من شيخ الأغواط بأنه سيحارب الأمير عبد القادر وكل أتباعه بنواحي الأغواط.

لقد كانت فرنسا تسعى لتمديد سلطتها إلى أقصى الجنوب بالنظر إلى أن المقاومات الشعبية كانت تجد دوما التمويل والملاجئ في هذه الربوع فضلا عن أنها تمثل قاعدة صوفية صلبة خصوصا وأن كل قادة الجهاد هم ذوو خلفيات صوفية مثل الطريقة القادرية والرحمانية والدرقاوية، ولطالما وُحِدَ الجهاد هذه الطرق وجعل مريديها شركاء الدم ضد المحتل. وبالتالي فإن الوصول إلى أقصى الجنوب والتضييق على الزوايا وشيوخها كان يمثل لفرنسا ليس تضييقا على المرجعية الدينية فحسب بل على المقاومة الشعبية في حد ذاتها، ...، ولهذا كان العمل العسكري يتم بالتوازي مع التغلغل التجاري بمشروع يربط الجزائر العاصمة بالأغواط مروراً ببلاد أولاد نايل.

في تلك السنة أسس الكولون جريدة في باريس تحت اسم "L'Afrique" وصارت لسان حالهم والناطق بمشاريعهم أمام الرأي العام في الميتروبول أي الداخل الفرنسي، وهذا قصد إيجاد الدعم لمشاريع الاستيطان ونهب خيرات الجزائريين. وقد صدر العدد الأول من هذه الجريدة بتاريخ 15 أوت 1844م. وسنقرأ في هذه الجريدة عن مشروع الخط التجاري الرابط بين المدية والأغواط وأنه سيتم انشاء قُرى مُحصنة بين كل منها مسافة 6 فراسخ أي حوالي 24 كم (أنظر التعليق رقم 7). يقول التقرير المرسل من الجزائر العاصمة إن هذه القرى ستُسَهِّل تأمين الطريق إلى الصحراء وكشف مجاهيل افريقيا والعلاقات التجارية معها، وقد ذكرت المراسلة بلاد أولاد نايل صراحة بأنها هي العائق الوحيد أمام تجسيد هذا المشروع وأن قبائل هذه المنطقة يمتنون للصوصية (3: L'Afrique, 1844).

في ظل هذه الظروف تبرز شخصية التلي بلكل كقائد تفتن لهذا المشروع الذي يرمي إلى احتلال الصحراء تدريجيا والتمكين للاحتلال وإضعاف المقاومة الشعبية، فقرر المقاوم "التلي بلكل" اجهاض المخطط والهجوم على قوافل هذا الخط التجاري.

ذكرت صحيفة "المُوجّه الجزائري" اسم "التلي" بتاريخ 15 آفريل 1845م باعتباره قائدا متمردا من أولاد نايل قاد هجوما في الليل على قافلة خليفة فرنسا على الأغواط "أحمد بن سالم" والذي كان بصدد نقل حصيلة جمع ضريبة الزكاة (هكذا سمّتها الجريدة) إلى السلطة الفرنسية بالمدية، سبّب الهجوم تشتيت فرقته وضياع قطعان المواشي والخيم والأمتعة، وقد دعت الصحيفة إلى عدم تأجيل العقاب ضد

المهاجمين وخاطبت الجنرال ماري مونج، قائد مقاطعة المدية، بضرورة إلقاء القبض عليهم (1: 677, No 1845, Le Moniteur Algérien).

وهذه الضربة القاضية من التلي بلكل أشار إليها الجنرال ماري مونج في تقريره المؤرخ في 9 آفريل 1845م، المحفوظ بمركز أرشيف ما وراء البحار بفرنسا وهو يتحدث عن الوضع الصعب الذي صارت عليه محاولات التمدد للمحتل الفرنسي نحو الجنوب وكيف أن الفرنسيين يرون في بلاد أولاد نايل منطقة مزعجة لكنهم يقللون من شأن المقاومة ويصفونها بـ "قطع الطريق" وأن الفرقة الناييلية التي تمارس ذلك مشهورة بهذه الأفعال وأن من اقترفوا ذلك هم من أصحاب النوايا السيئة" (أنظر التعليق رقم 8). ولكي نعرف قوة الضربة وتأثيرها الكبير على مخططات فرنسا في بناء خطوط إمداد وتجارة سنقرأ رد قائد أركان ناحية الجزائر، الجنرال دوبار، ورأيه في تقرير الجنرال ماري مونج يوم 29 آفريل 1845م حيث يقول "أتفق مع السيد الجنرال ماري في أنه يجب أن نضرب بأسرع ما يمكن هذه العصابة من أولاد نايل والتي اقترفت هذا الفعل العدائي الشنيع، لكنه سيكون من الصعب الوصول إليهم لأنهم بعد هذا الهجوم سيلجأون إلى الابتعاد عن مسرح العمليات حتى لا يكونوا في متناولنا" (ANOM, 1845) (أنظر التعليق رقم 9).

تحيل مراسلات مونج السابقة على تكرار الهجمات ضد المصالح الفرنسية وهذا في قوله "الفرقة الناييلية التي تمارس ذلك مشهورة بهذه الأفعال"، وبالتالي فإن سياسة التلي بلكل بمهاجمة القوافل الفرنسية أو قوافل عملائها، قد آتت أكلها وأجلت استقرار وتثبيت الفرنسيين في الصحراء إلى بداية الخمسينات. ولهذا سيكون

الرد عنيفا خصوصا مع الحشد الاعلامي ضد التلي بلكل وأيضا مع عزم الماريشال بيجو القضاء على مقاومة الأمير عبد القادر التي كانت تجد في أولاد نايل قاعدة وخلفية في صحراء الوسط.

وهكذا لم يتأخر الانتقام الفرنسي سنة 1845م فقاد الجنرال ماري مونج حملته الثانية للانتقام مما سمته صحيفة "ليسبيرونس" إهانة حليف فرنسا، ووصلت الحملة إلى بلاد أولاد نايل يوم 8 ماي 1845 وفرض عليهم الجنرال مونج دفع غرامة ما بين 40 إلى 50 ألف فرنك فرنسي (L'espérance, 1845: 02) لكن الرد الأشنع والجرائم الأفظع ستكون سنة 1846م.

3.3. خلال سنة 1846م:

تفاصيل مسيرة التلي بلكل لهذه السنة نقرأها في الصحافة الفرنسية بباريس في فترة مبكرة. كتبت صحيفة "النقاشات السياسية والأدبية"، التي توزع في باريس ولندن، بتاريخ 24 جانفي 1846م عن الأوضاع بمنطقة الوسط بمجيء الأمير عبد القادر. وتذكر هذه الصحيفة استمرار أولاد نايل جميعا في دعم الأمير عبد القادر، ما عدا قبيلة واحدة منهم التي خضعت لسلطة خليفة فرنسا على الأغواط. وقالت الجريدة إن أولاد نايل الثائرين يُخيمون في المنطقة الواقعة بين زاغر والشارف وصولا إلى زينة (حوالي 145 كم من الشرق إلى الغرب) وأن الأمير عبد القادر قد عين عليهم "التلي" قائدا برتبة آغا (Journal des débats..., 26 Jan 1846: 02).

وفي الحقيقة كان وصول الأمير إلى بلاد أولاد نايل بداية لحملة ضخمة للمطاردة قادها الجنرال جوزيف فانتيني، المعروف باسم الجنرال يوسف Yusuf، والذي دعمته قوات ابن ملك فرنسا الأمير هنري

"دوق أومال" القادم من قسنطينة، وساعده جنوبا الجنرال داربوفيل القادم من سطيف، وقوات خليفة الأغواط أحمد بن سالم، بالإضافة إلى الضباط رونو وكامو وأوكا في ولادميرو. وفي الحقيقة لم تكن هذه الحملة لمطاردة الأمير وخليفته سي الشريف بلحشر والتلي بلكل وباقي المقاومين بل كانت شاملة لكل فلول المقاومة ومنها تلك الجيوب التي كان يقودها الحاج موسى الدرقاوي (أنظر التعليق رقم 10) أين دُمّرت زاويته ومسجده برياطه العسكري بتاريخ 14 مارس، كما اقتربت قوات الجنرال يوسف مجزرة ضد قبيلة أولاد سعد بن سالم استشهد فيها 200 ضحية من البدو الرحل، وهجوما آخر على قصر زينة استشهد فيه 30 مقاوما حاولوا تعطيل مسار مطاردة الأمير، و20 مقاوما من قبيلة أولاد سي أحمد في معركة يوم 22 مارس 1846م التي تحدثت عنها الصحافة الفرنسية (أنظر التعليق رقم 11).

وسنجد فعلا أن أولاد نايل قد سببوا صداعا كبيرا للماريشال بيجو حسب رسالة مؤرخة في 6 آفريل 1846م ومرسلة إلى الأمير هنري، نجل ملك فرنسا لويس فيليب، التي برّر فيها بيجو إلغاء سفره إلى وهران بالقول "أنا أعاني في هذه الأثناء من وعكة شديدة، زكام الصدر، زد عليه رجوع الأمير إلى أولاد نايل، وهو ما منع سفري إلى وهران" (D'Ideville, 1882: 102).

وهكذا لم تكد تمر سنة 1846م حتى كان الدمار الشامل قد حاق بأولاد نايل فغادرها الأمير بنهاية شهر آفريل ومعه خليفته على أولاد نايل "سي الشريف بلحشر"، وخلفوا وراءهم الشيخ التلي بلكل الذي ستحلّ عليه سنة 1847م ويتلقى فيها أولاد نايل حملة مزدوجة من

الشمال ومن الشرق، ثم يحاول الجنرال ماري مونج التقرب من التلي واغرائه بالسلطة.

4.3. فترة 1847م - 1848م، هدنة استرجاع الأنفاس والتخطيط وربط الاتصالات:

تميزت هذه السنة بنهاية مقاومة الأمير عبد القادر باستسلامه وسجن خليفته على أولاد نايل "سي الشريف بلحشر" في بوغار. ولهذا نجد الملازم إدموند مانجان يصف التلي بلكل بأنه قد صار صاحب نفوذ كبير على أولاد نايل خلال هذه السنة (Revue Africaine, 1894: 101).

حلت سنة 1847م ليُجرب الجنرال ماري مونج نهجا جديدا في التعامل مع أولاد نايل وهذه المرة بمحاولة استمالة قادة المقاومة ليحكموا باسم فرنسا ... وقد اتسم الظرف هنا بسيطرة فرنسية مطلقة بعد دمار سنة 1846م ثم حملة مونج الثالثة بداية فيفري وفيها قمع 6 دواوير من قبيلة أولاد سعد بن سالم يوم 4 فيفري 1847م التي عصت أوامره وغرّمهم ب 100 جمل و400 بقرة و40 ألف رأس غنم. وبعد ذلك خيم مونج في معسكره بمنطقة الريّان وهناك وفد عليه التلي بلكل مستسلما (Le Moniteur Algérien, No 808- 1847: 02). ويجدر بالذكر هنا أن الأرشيف الفرنسي أشار إلى أن الشيخ التلي بلكل قد التقى الشيخ بومعزة في ديسمبر 1846م أي أن تحركاتهما كانت مرصودة (أنظر التعليق رقم 12).

بعد استسلام التلي في فيفري 1847م، سنقرأ لاحقا جزءا من التقرير منشورا في الصحافة الكولونيالية وفيه معلومات جمعها الجنرال مونج عن أولاد نايل (أنظر التعليق رقم 13) بمناسبة الحملة التي

قادها ضدهم بداية فيفري بالتوازي مع الحملة التي قادها الجنرال إيربيون *Herbillon* من إقليم قسنطينة ضد الزاوية المختارية والمناسبة كانت استقبال أولاد نايل والزاوية للشيخ المقاوم بومعزة. وحسب التقرير فإن ماري مونج قد اقتنع بأن السيطرة على أولاد نايل ستسمح بتحصيل ما مجموعه 200 ألف فرنك سنويا من ضرائب مختلفة (العسة والزكاة والعشور)، وأنه قد قرر تعيين عدة قادة عليهم ومنهم بن عودة والجديد والتلي وأنه لابد من تقسيمهم لصالح فرنسا (Le Moniteur, 02: 1847-815, Algérie).

وهكذا ستكون هذه السنة فرصة لاسترجاع الأنفاس بالنسبة للشيخ التلي بلكمل والإيحاء للفرنسيين بأنه مستسلم وخاضع لهم كما أنه سيبدأ بربط اتصالات تجعله يعلن ثورته من جديد في خريف 1849م تضامنا مع نداء الجهاد بالزعاطشة، كما سيأتي بيانه في أحداث تلك السنة، وبعدها تستمر مسيرته الجهادية في بلاد أولاد نايل وبلاد ريخ وصولا إلى تونس.

نقرأ في الأرشيف الفرنسي، سجل المكتب العربي، تقريراً لشهر ديسمبر 1847م يرصد تحركات التلي بلكمل وفيه: "رجع التلي من رحلته إلى تقرت يقود قافلة أولاد نايل المحملة بكميات كبيرة من التمور، وهو حالياً يُخيم في الخرزة جنوب زاغز الغربي" (انظر التعليق رقم 14)، هذا التقرير يثير الكثير من الأسئلة لعدة اعتبارات فتحركات التلي بلكمل هنا قد تمت بالتزامن مع استسلام الأمير عبد القادر في نواحي تلمسان، كما أن رحلة عودته جاءت متأخرة بعد موسم جني التمور فهل كان فعلا في مهمة تجارية بحثة أم أنه كان في اتصالات مبكرة مع المقاومين في تلك الربوع؟

لعل الإجابة عن السؤال السابق نجدها في التقرير الأرشيفي للفترة 15 آفريل 1848م، 1 ماي 1848م والذي يرصد هجوما على قافلة قادمة من منطقة بني مزاب فيها 34 فردا باتجاه الجزائر العاصمة وأنها قد تعرضت لهجوم من أولاد نايل وأنه تم التعرف على أحد المهاجمين وهو ابن الآغا التلي مما حدا بالفرنسيين إلى إعطاء أوامر بالتوجه إلى موقع المهاجمين (أنظر التعليق رقم 15) وهذا التقرير لوحده كفيل بأن يشي بازدواجية العمل الذي كان يقوم به التلي بلكل فظاهريا هو قبول تعيينه قائدا على أولاد نايل وفي السر تقويض استقرار المحتل الفرنسي وقوافله التجارية.

وسنجد التلي بلكل كالعادة مادة دسمة للصحافة الفرنسية (أنظر التعليق رقم 16) وهذه المرة بمناسبة الحديث عن إنجازات الجنرال ماري مونج في جمع ضرائب الربيع لسنة 1848م. وقد وصفت الصحافة الكولونيالية جمع الضرائب بأنه قد تم بسرعة وأن الجنرال ماري مونج قد توجه إلى بلاد أولاد نايل وأشرف شخصيا على جمع الضرائب وفرض استسلام الجميع وأن "التلي بلكل" قد تردد لفترة من الزمن ثم وفد على معسكر الجنرال بمعية ولديه (أحدهما هاجم قافلة بني ميزاب) وكل قادة أولاد سي أحمد وهذا بتاريخ 9 ماي حين خيم الجنرال في الزعفران بمسافة 4 كم عن مخيم التلي بلكل وقبيلته. وكان مجموع الغرامة 35 ألف بوجو دفعوها دون اعتراض (لعلها غرامة الهجوم على قافلة بني ميزاب). وأثناء ذلك كان آغا فرنسا بن يحيى يبعد عنه بمسافة 80 كم شرقا بمعية 500 فارس يجمع ضريبة الزكمان من أولاد نايل الشراقة. أما آغا فرنسا بن عودة فقد كان في دمّ

(بمحاذاة مسعد جنوبا) يطارد الشيخ موسى الدرقاوي والذي وصفته الجريدة بأنه "يمارس نفوذا كبيرا ضد فرنسا" وأنه قد جاء إلى هناك بعد أن حرّض على الثورة في نواحي منطقة القبائل بين سطيف وبجاية قبل أن تطرده حملة فرنسية في ماي 1847م.

من خلال حادثة نزول مونج شخصيا لجمع الغرامة ضد التلي بلكمل وقومه نستنتج أنه قد ظل محل ريبة شديدة رغم تعيينه آغا على أولاد نايل (أنظر التعليق رقم 17) ولم يكن محل ثقة الفرنسيين إلى أن انكشف هجوم ابن التلي على قافلة بني ميزاب، ولهذا كانت مجرد الإشارة إلى اسمه في الصحافة الفرنسية دليلا على السيطرة ضمن سياسة الحرب الإعلامية والنفسية.

وقد زاد من ريبة الفرنسيين ضد التلي بلكمل الأخبار المتواترة عن عصيان أولاد نايل في نواحي تقرت. حيث نقلت صحيفة "المبشر" خبر التحاق بعض "العصاة" من أولاد نايل بواحة تماسين وأظهروا العداءة لفرنسا فقاتلهم شيخ تقرت "بوجلابل" واستشهد منهم العديد من المجاهدين وقطع 10 آلاف نخلة ببساتين تماسين التي طلب أهلها الأمان فوافقهم "بوجلابل" على ذلك شريطة دفع 116 ألف فرنك كغرامة إلى السلطة وطرد جميع المتمردين ضد فرنسا كأولاد زيد وغيرهم من فرق أولاد نايل (المبشر، مارس 1848م: 03).

5.3. انتفاضة التلي بلكمل سنة 1849م:

تميزت هذه السنة بوتيرة تصاعدية للمقاومة الشعبية والتي كان أوجّها في ملحمة الزعاطشة. وأحسن من أعطانا السياق العام لمنطقة الجلفة آنذاك هو الملازم إدموند مانجان، وهو الظرف الذي أدى إلى

إرسال الجنرال لادميرو في حملة عسكرية انطلقت من المدينة في آفريل 1849م.

يقول مانجان إنه قد بدأت تظهر معالم تشكّل انتفاضة سرية في جنوب المدينة سنة 1849 أين برز فيها الحاج موسى بدخوله الأغواط واستقباله من طرف السكان بترحاب. وفي نفس الفترة بدأ بوزيان بتحريض الزعاطشة ليقود مقاومة عامة أعطاهها طابعا دينيا بتوجيه النداء إلى الزوايا والطرق الدينية وقد أرسل إليه سي موسى عددا من المتطوعين. أما التلي بلكل، الأغا السابق لدى الأمير، فقد حرّض هو الآخر بعض بطون أولاد نايل ومنهم أولاد سي أحمد، لكنه عسكري في نواحي مسعد بسبب عجزه عن الوصول إلى بوزيان. هذا الوضع لفت انتباه الحاكم العام الذي أمر في جوان بتكوين حملة من المدينة تحت قيادة الجنرال لادميرو (Revue Africaine, 1894: 99- 100).

وبينما يقول مانجان إن التلي بلكل كان بصدد الالتحاق بالزعاطشة، فإن تقرير حملة لادميرو نفسه يشير إلى أن قبيلة التلي بلكل بأكملها قد انتقلت إلى الجنوب في عصيان ضريبي وأنهم يستعدون للتوغل أبعد من ذلك (أنظر التعليق رقم 18) ويبدو أنه مع توالي تشديد الخناق على الزعاطشة وصعوبة الوصول إليها رجع أولاد سي أحمد إلى مضاربهم لكنهم هذه المرة مرغمون على خوض الحرب بالتوازي مع اندلاع انتفاضة بن شبيرة في بوسعادة في شهر أكتوبر.

اندلعت انتفاضة التلي بلكل في أكتوبر من هذه السنة بالتزامن مع تشديد الخناق على واحة الزعاطشة وقد تم تكليف الملازم كرووارد Cruard والملازم الأول كاروس Carrus بقيادة حملة لقمع

الانتفاضة في الزعفران وزاغز الغربي ضد ثلاث قبائل من أولاد نايل وهي أولاد سي أحمد وأولاد أم هاني وأولاد سعد بن سالم والتي فقدت جزءا كبيرا من ثروة ماشيتها (Revue Africaine, 1873: 378).

يعطينا الأرشيف الفرنسي ملاحظة في غاية الأهمية عن علاقة مباشرة بين انتفاضة التلي بلكل وانتفاضة الزعاطشة عبر طريقين اثنين:

الطريق الأول: هو انضمام صديقه، في الكفاح وقت الأمير، محمد بن عبد السلام، من قبيلة أولاد الغويني بنواحي الجلفة، إلى انتفاضة الزعاطشة سنة 1849م (أنظر التعليق رقم 19) وقد ذكرت صحيفة المبشر كيف أن قبيلتي أولاد سي أحمد وأولاد الغويني قد سبق معاقبتهما في جوان 1848 في حملة الجنرال مونج الذي فرض على أولاد سي أحمد غرامة (خطية) قدرها 41 ألف دورو وعلى أولاد الغويني غرامة 6 آلاف دورو لضياقتهم "العاصي" بن عبد السلام (المبشر، 1848م: 3).

الطريق الثاني: وهو لقاءه بداية 1850م مع الشيخ سي قويدر التيطراوي الذي خرج من واحة الزعاطشة بعد استشهاد الحاج موسى وقطع رأسه مع الشيخ بوزيان وابنه يوم 26 نوفمبر سنة 1849م (أنظر التعليق رقم 20).

يبدو لنا جليا أن سنة 1849م قد جعلت التلي بلكل يخرج بيقين وهو أنه الآن قد صار مطلوبا لدى الفرنسيين كي يجعلوا منه عبرة لمن يعتبر فضلا عن كون الفرنسيين قد قرروا فعلا الاستقرار هذه المرة بالجلفة وبناء موقع عسكري دائم لهم ويتزامن ذلك مع تفاوضهم مع خليفة الأمير عبد القادر على أولاد نايل "سي الشريف بلحشر" المسجون

في بوغار، وهذا تحت طائلة قبوله قيادة أولاد نايل أو استمرار الحملات التي ذاقوا وبألها منذ 1844م. وهنا لابد من الإشارة إلى ما ذكره الجنرال ديباري في مذكراته عن ظروف قيادة سي الشريف بلحشر أولاد نايل حيث يقول "عندما قبل عرضنا كان قد أنقذ قبيلته من دمار مُحقق" (Du Barail, 1898: 13).

إن هذا الزخم في وقائع المقاومة الشعبية سيكون له أثره في التحاق شخصيتين محوريّتين بالمقاومة الشعبية في الجنوب (محمد بن عبد الله شريف ورقلة والناصر بن شهرة)، فإلى غاية بداية سنة 1850م كان التلي بلكمل المقاوم الأبرز في بلاد أولاد نايل والأكبر سناً والأقدم عهداً بمحاربة المحتل الفرنسي. وهذا الدور البارز وضعه مانجان في حديثه عن انتفاضة التلي ومحاولة التحالف بالزعاطشة سنة 1849.

يعطينا المؤرخ يحيى بوعزيز ظروف التحاق الشريف محمد بن عبد الله بالمقاومة بعد عودته من رحلة الحج. فهو قد وصل طرابلس أوائل 1850م ثم اتجه إلى سوف عبر غدامس وتقرت واستقر بزاوية الرويسات وبقي طوال عام 1850 يراقب الأوضاع عن كثب ويدرسها. وفي شهر فيفري 1850م فكّر بجد في القيام بأول تجربة ثورية في ميدان الكفاح فقام بمراسلات أثمرت عن مبايعته سلطاناً على ورقلة في أوت 1851 ثم بدأ يتقدم نحو تقرت ومثلي (بوعزيز، 1976: 14) كما سيلتحق بهما شيخ قبيلة الأرباع بالأغواط الناصر بن شهرة بعد ثورته في سبتمبر 1851م.

6.3. في مجزرة مدينة الأغواط 4 ديسمبر 1852م:

لا يمكن تناول المقاومة الشعبية في مرحلتها سنة 1852م دون التعرّيج على مجزرة الأغواط، وهي ملحمة بطولية شارك مقاومون من تقرت وورقلة ومثلي الشعانبة وأولاد نايل والأغواط وغيرها من المناطق. تعتبر بداية خمسينات القرن التاسع عشر محورية في تاريخ احتلال الصحراء وتقدم المحتل الفرنسي. وقد ظلت هذه الربوع مسرحاً لعمليات عسكرية وانتفاضات مختلفة ففي بلاد أولاد نايل لوحدها نحصى استمرار مقاومة التلي بلكمل وانتفاضة أولاد طيبة في ديسمبر 1852م وانتفاضة أولاد أم الإخوة في أكتوبر من سنة 1854م.

إن الدور المحوري للتلي بلكمل في معركة الأغواط سنة 1852 قد تطرق إليه الملازم مانجان في وقائع شهر سبتمبر التي كانت مقدمة للحملة الفرنسية الضخمة على الأغواط في ديسمبر من نفس السنة. يقول مانجان إن التلي بلكمل عبر إلى قصر الحيران متزعمًا عدة قبائل نائية من دائرة بوسعادة من أجل الانضمام إلى أتباع الشريف محمد بن عبد الله، وهكذا صارت الأغواط كلها في حالة ثورة مع تسجيل فشل حليف فرنسا الشيخ علي (نجل بن سالم) وتلقيه هزيمة نكراء يوم 20 سبتمبر، وهو ما حدا بالجنرال يوسف إلى محاولة إسناد الشيخ علي لكن فشل مبعوثيه جعله يتراجع إلى الجلفة بالتزامن مع التحاق يحيى بن معمّر (شقيق بن سالم) بالثوار في قصر الحيران يوم 24 سبتمبر ثم ينضم إليهم الشريف قادما من ورقلة (Revue Africaine, No 212- 213, 1894: 289- 290).

في شهر أكتوبر هاجم شريف ورقلة "محمد بن عبد الله" منطقة الأغواط قادما إليها من القرارة التي جمع فيها ما بين 1200 إلى 1500 فارس من قبيلتي الغرابة وأولاد نايل، ثم اضطر إلى العدول عن وجهه

الأغواط بسبب وصول حملة الجنرال يوسف قبله ليتوجه إلى العمور لكن تمّ صدّه هناك ليقرر هذه المرة العودة إلى الأغواط بعد علمه بوصول الجنرال يوسف إلى الجلفة يوم 17 أكتوبر 1852م (Courrier de Limoges, 1852: 03).

وهكذا لم يدم الحال حتى بدأت جحافل القوات الفرنسية تسير نحو الأغواط التي تحصّن بها مقاومو الصحراء، والحقيقة أن هذه الانتفاضة تحتاج لوحدها بحثا مستقلا لكن لا بأس من الإشارة إلى عنصرين يعكسان بسالة الشيخ التلي بلكل في هذه الملحمة:

الحدث الأول: وهو استشهاد ابنه المقاوم المختار بن التلي في الأغواط يوم 4 ديسمبر 1852م. وقد نقلت الصحيفة الدعائية الفرنسية "المبشر" هذا الخبر ضمن قائمة من أسماء 19 من قادة أولاد نايل الذين استشهدوا هناك وذكرته بعبارة "من أولاد سي أحمد المختار بن التلي ولد الآغا" (المبشر، جانفي 1853م: 02).

الحدث الثاني: وهو أن أتباع التلي بلكل من أولاد نايل أنقذوا الشريف محمد بن عبد الله من موت مُحقق بعد إصابته برصاصتين وفقده الكثير من الدم بين بساتين مدينة الأغواط المحاصرة في ديسمبر 1852م، فصنعوا نقالة من 4 بنادق ووضعوه عليها واستطاعوا التشويش على القوات الفرنسية وشغلها إلى أن تمكنوا من استغلال جنح الظلام وإخراج الشريف ونقله إلى معسكر الناصر بن شهرة في بلاد مزاب (Le Moniteur Algérien, 1852: 01).

7.3. خلال سنة 1853م:

حلت هذه السنة وقبائل الصحراء تحمل عبئا كبيرا بعد حرب الإبادة التي حاقت بها بنهاية سنة 1852م لاسيما مجزرة الأغواط. ولهذا

تنقل لنا الصحافة الأخبار عن استسلام أولاد نايل والأرباع وطلبهم الأمان، وأن التلي والناصر ويحيى بن معمر قد لجأوا إلى ورقلة بحثا عن ملاذ آمن ولكنه غير مضمون بتعبير الفرنسيين (Le Pays, 1853: 03).

لكن الوضع السابق كان محدودا بيد أن نفس الصحافة الفرنسية (أنظر التعليق رقم 21) تنقل لنا أخبارا عن صمود المقاومين خلال صائفة هذه السنة، أوت 1853م، أين صار الوضع كما يلي:

- اتخذ المقاومون من الرويسات مقرا لمعسكرهم بقيادة الشريف حيث تواجد معه الناصر بن شهرة (من الأرباع) والنعمي (من أولاد سيدي الشيخ) والتلي (من أولاد نايل) وبن شبيرة (من بوسعادة) ومعهم 300 فارس في المعسكر.

- لجأت السلطات الفرنسية إلى سياسة التجويع والعقاب الجماعي للقبائل التي ساندت المقاومين ومؤنتهم. حيث انتشرت بينهم المجاعة بشدة بعد منع تموين واد سوف وواد ريغ بالحبوب بقرار ورقابة صارمة من القيادة في مقاطعة باتنة ولم يعد للسكان هناك من غذاء سوى التمر.

- اعترف العدو الفرنسي أن السكان كانوا على درجة عالية من التحريض ضد المحتل رغم سياسة التجويع، وقالت الصحيفة إن السبب في هذا التأثير هو صديق الشريف "سلمان" الذي قتل عائلة "بن جلاب"، وأقنعهم أن تقرت قد صارت آخر معقل للإسلام في الجزائر.

- نقلت الصحيفة أخبارا عن أعمال تحصينات دفاعية تتم حول مدينة تقرت وأن الفرنسيين لا يعرفون بدقة ماهيتها معتبرين تقرت أهم مدينة في منطقة واد ريغ.

وهكذا نستنتج أن الأمر سيؤول إلى الحزم العسكري بعد الصمود الذي عرفته هذه المناطق في وجه سياسة التجويع وهو ما سنراه في السنة الموالية حين تصبح المنطقة ما بين بلاد أولاد نايل وواد ريغ وورقلة وبسكرة مسرحا لحملات عسكرية ومطاردات ومعارك دامية، وهو ما سيكون طيلة بداية سنة 1854م.

8.3. خلال سنة 1854م:

هذه السنة ستكون هي الأخيرة في تداول اسم التلي بلكل بيد أن أخباره قد انقطعت بعدها في التقارير الفرنسية سواء أُرشيف المكاتب العربية أو الصحافة. ولهذا نرى أن مصيره آنذاك قد يتراوح ما بين السجن ثم إطلاق سراحه لكبر سنه أو وفاته. لكن في كل الأحوال يترجح لدينا نهاية مسيرته كمقاوم نتيجة للسياسة العسكرية والتجويعية التي انتهجتها فرنسا وزاد من وطأتها عامل العمر والاصابات البليغة في معركة 16 جانفي التي سنأتي على ذكرها فيما يأتي.

نشر الرائد سيروكا، قائد مركز بسكرة، مذكراته في المجلة الإفريقية تحت عنوان (الجنوب القسنطيني من 1830م إلى 1855م). السياق الذي ميّز أول يوم من سنة 1854م تمثل في تسليط عقوبة قاسية على قبيلة البرارجة (بنواحي الزاب الغربي)، وبعد هذه العقوبة يقول سيروكا "الآن تحولّ انتباهنا بسرعة نحو الصحراء". ونتيجة لذلك صار مجال نشاط الشريف بين واد سوف وتقرت ولم يعد معه أحد تقريبا. أما أولاد ساسي (فرع من أ. نايل) والحرازية والتلي بلكل ومن معه من أولاد سي أحمد فقد تجمعوا بين تماسين وبلدة عمُر، في حين توجه الأرباع ورحمان والعجم إلى نواحي ورقلة ليخوضوا مفاوضات استسلام

مع سي حمزة الذي أرسلته فرنسا من البيّض لمحاصرة الثوار وقطع الطريق عليهم من الغرب، لتبدأ الحملات تتوالى بعدها من القوات الفرنسية أين برز العقيد ديريو والرائد ديباري والعقيد ديفو وبعض أعوان فرنسا من القيادة (Revue Africaine, No 287- 1912: 550- 551).

بالنسبة للتلي بلكل ومع اشتداد تضيق الخناق فقد بقي معه 25 خيمة من قبيلته والتحق بهم 100 خيمة من أولاد ساسي وقرروا التوجه إلى ورقلة على خطى الأرباع طلبا للأمان والاستسلام ولكن كان يترصّ لهم أحد أعوان فرنسا وهو "أحمد بن الحاج" الذي معه قوة قوامها 350 فارسا و300 من المشاة فهاجموهم يوم 16 جانفي ولم تدم المعركة طويلا حتى انهزم أتباع التلي بلكل وخسروا 500 جمل و17 حصانا و130 بندقية والكثير من المتاع ... لكن الأشنع هو مقتل 30 شخصا وكان بينهم جثمان رجل مليء بالجروح ومُخَضَّب بالدماء واعتقد المهاجمون أنه قد مات لكن قلبه كان يخفق بالحياة ... إنه التلي بلكل الذي سرى خبر موته لعدة أيام (Revue Africaine, No 287- 1912: 551).

بعد ذلك التحقت حملتان بقيادة الرائد ديباري والرائد نيكو وسارت بين قصور وادي ميزاب ومتيلي وواد النسا أين استقبلت القبائل المستسلمة ومنها أتباع التلي بلكل أولاد نايل (أولاد يحيى بن سالم والأغلبية من قبيلتي أولاد سي أحمد وأولاد عيسى). وكانت حملة العقيد ديريو عاملا حاسما في استسلامهم بعد وصولها إلى ورقلة لقطع الطريق أمامهم جنوبا (Le Moniteur Universel, 1854: 01- 02).

لم يلبث التلي بعد اصابته وشيوع خبر موته حتى ظهر من جديد، حيث رصدت عيون الرائد ديباري خبرا عن أن أشخاصا من واد سوف قد

نقلوا التلي بلكمل إلى نفاوذة في الجنوب التونسي (, Journal des débats.. 02: 1854).

وفي تقريره المؤرخ يوم 25 فيفري 1854م والموجه إلى وزير الحربية، أعلن الحاكم العام للجزائر الجنرال راندون عن نهاية العمليات العسكرية في الجنوب وتحقيق التوسع والسيطرة على مساحات شاسعة، واحتفى الحاكم العام بهزيمة التلي بلكمل وذكر اسمه مرتين في بداية ونهاية هذا التقرير المرسل إلى القيادة في الميتروبول (Le Pays, 1854: 02).

خاتمة:

نوصي من خلال هذا البحث إلى ضرورة:

- جمع الرصيد الأرشيفي الخاص بالتلي بلكمل من مخطاته لاسيما منها وزارة الدفاع الفرنسية وأرشيف ما وراء البحار الفرنسي *ANOM*.
- تنظيم ملتقى خاص بهذه الشخصية واستكتاب المؤرخين بالمناطق التي جاهد فيها التلي بلكمل وهي ولايات الجلفة والأغواط وتقرت والمغير وورقلة والواد وبوسعادة ومسعد وغيرها.
- ضرورة الانتباه إلى الرواية الشفوية وأهميتها في رصد تفاعل الجزائريين مع المقاومة الشعبية لاسيما الأهازيج والشعر الملحون والأمثال والحكم والقصة الشعبية والتسميات البلدانية.
- ندعو إلى تشكيل شبكة بحث خاصة بجغرافية وتاريخ المقاومة الشعبية على امتداد منطقة واد ريغ وبلاد أولاد نايل وواد سوف والأغواط وورقلة مع ضرورة انشاء قاعدة بيانات لمصادر ومراجع تُسهّل البحث التاريخي على المهتمين.

التعليقات:

1 -تاريخ الميلاد والوفاة ترجيحان بناء على المحاضرة التي ألقاها الباحث العصامي في التراث الأستاذ حران مصطفى، رحمه الله، بملحقة متحف المجاهد بالجلفة سنة 2013م، وأيضا مقال الإعلامية مفيدة قويسم بالجريدة الإلكترونية

"الجلفة إنفو"، وهنا نشير إلى أن تاريخ وفاته يبقى محل ترجيحات فقط إلى حين العثور على الأرشيف الذي يقطع الشك باليقين.

2 - لما عرضنا هذا البيت على الشاعر والراوي الطاهر بن سعد بلخيري أخبرنا أنه بيت شعري غنائي موزون وأنه فعلا بيت لا ينظمه سوى شاعر.

3 - عدة خلوفي، بيت في رثاء شيخ مقاومي الصحراء "سي التلي بلكمل"، مقال منشور بمجلة خيمة التراث الشعبي لمنطقة الجلفة بتاريخ 31 مارس 2022م على الرابط: <https://turath.djelfainfo.dz/4530.html>

4- أنظر الورقة رقم 198 من السجل الأم للحالة المدنية لعرش أولاد سي أحمد سنة 1934م، «*Régistre Matrice de l'état civil*»، أرشيف السجلات ببلدية الزعفران ولاية الجلفة.

5- ثامر دحماني بن عبد القادر دحماني، قصة فارس "أولاد شريك" الذي هجم على لصوص لوحده، مجلة خيمة التراث الشعبي لمنطقة الجلفة على الرابط: <https://turath.djelfainfo.dz/5036.html>

6- عدة خلوفي، أعرابية تصف شيخ مقاومي الصحراء "التلي بلكمل" لابنتها، منشورة بمجلة خيمة التراث الشعبي لمنطقة الجلفة على الرابط: <https://turath.djelfainfo.dz/4635.html>

7- الفرسخ تقريبا 04 كم، أنظر: سهيل إدريس (الدكتور)، المنهل - قاموس فرنسي عربي، دار الآداب، بيروت، 2008م، ص 722

8- سجل المكتب العربي بأرشيف ما وراء البحار:
ANOM, *Registre Bureau Arabe 04 Novembre 1844 au 30 Décembre 1845, Mésaventure du khalifa de Laghouat (9 avril, 24 avril)*, 09 Avril 1845 Feuille 60/215, 24 Avril 1845 Feuille 68/215.

9 - سجل المكتب العربي بأرشيف ما وراء البحار:
ANOM, *Registre Bureau Arabe 04 Novembre 1844 au 30 Décembre 1845, Mésaventure du khalifa de Laghouat (9 avril, 24 avril)*, 09 Avril 1845 Feuille 60/215, 24 Avril 1845 Feuille 69/215.

10 - لتفاصيل أكثر حول هذه الجرائم والعمليات العسكرية أنظر الفصل الثالث من كتاب مقاومة الحاج موسى الدرقاوي.

- 11 - ركزت الصحيفة هنا على أن الأمير تمكن من النجاة وبقي أولاد سي أحمد في مواجهة الجنرال يوسف واستشهد منهم 20 فارساً منهم قادة وفقدت القبيلة مواشيها وأمتعتها التي استولى عليها الفرنسيون، أنظر: Le Constitutionnel, No 132, Mardi 12 Mai 1846, P 01
- 12 - سجل المكتب العربي بأرشفيف ما وراء البحار:
ANOM, *Faits politiques- Rapports du 15 décembre 1847 au 01er Janvier 1848, Registre Bureaux Arabes Août 1843/Août 1847*, Cote d'archives : GGA 50II 250, Identifiant ark:/61561/wu656ppplj, Feuille No 101/138
- 13 - نشر مونج هذه المعلومات في تقرير بعنوان " Les Ouled Nail et l'organisation à leur donner " وهو متوفر بأرشفيف المصلحة التاريخية للدفاع بوزارة الدفاع الفرنسية لكننا لا نحوز نسخة منه
- 14 - سجل المكتب العربي بأرشفيف ما وراء البحار:
ANOM, *Faits politiques- Rapports du 15 décembre 1847 au 01er Janvier 1848, Registre Bureaux Arabes Août 1843/Août 1847*, Cote d'archives : GGA 50II 250, Identifiant ark:/61561/wu656ppplj, Feuille No 101/138
- 15 - سجل المكتب العربي بأرشفيف ما وراء البحار:
ANOM, *registre bureau arabe Personnel et commandement, Rapports de quinzaine, Faits politiques 15 Avril 1848- 01er Mai 1848*, Cote d'archives: GGA 51II 1, Feuille 18/ 69
- 16 - الخبر نشرته صحيفة "Le Moniteur Algérien" يوم 15 ماي 1848م وتناقلته الصحافة الفرنسية لا سيما منها جرائد الميتروبول
- 17 - لم يكن آغا مستقلاً بل كان تحت إمرة بن عودة "آغا الأغوات" والخليفة جديد ضمن آغاليك الجنوب الغربي للوسط، أنظر:
M. Bequet, *L'Algérie en 1848- tableau géographique et statistique*, Librairie de L. Hachette et Cie, 1848, Paris, P459
- 18 - تقرير حملة الجنرال لادميرو، أرشفيف ما وراء البحار:
ANOM, *Affaires de Sud (Colonne mobile du général Ladmirault) Du 27 avril au 26 juin*, Cote d'archives : GGA 50II 200, Feuille 02/ 26
- 19 - سجل المكتب العربي بأرشفيف ما وراء البحار:
ANOM, *Rapport travaux de l'exécution de la loi Synatus Consulte-Douar de la tribu des Ouled Ghouini*, Identifiant ark:/61561/2611798, Date: 1910-1922, feuille 334/ 342.

20 - سجل المكتب العربي بأرشفيف ما وراء البحار:

ANOM, *register du janvier 1850/décembre 1853, rapport sur les sectes religieuses auxquelles sont affiliées les Ouled Nayls, les tribus de Tittery et celles du sud de la province d'Alger*, Cote d'archives : GGA 50II 266, Feuille 16/ 57

21 - الخبر تناقلته صحافة الميتروبول الفرنسي عن صحيفة لومونيتور، وقد وجدناه منشورا في:

Journal des débats politiques et littéraires, No, Mercredi 07 Septembre 1853, P03

قائمة المصادر والمراجع:

- 1 - إدريس سهيل (الدكتور)، (2008م)، المنهل: قاموس فرنسي عربي، بيروت، لبنان: دار الآداب.
- 2 - أعمال الندوة الثالثة حول توثيق التراث الشعبي لمنطقة الجلفة "الرحلة والرحالة والمرحول" (2024)، الجزء الأول، جمع وتنسيق الأستاذ المسعود بن سالم، الجلفة، الجزائر: مؤسسة الجلفة إنفو والمكتبة الرئيسية للمطالعة العمومية بالجلفة.
- 3 - بوعزيز يحيى، (1976م). "وثيقتان جديدتان عن كفاح الشريف محمد بن عبد الله"، مجلة الثقافة، وزارة الإعلام والثقافة بالجزائر العدد 33.
- 4 - التتيلاني عبد الرحمان، (2015م)، رحلة الشيخ عبد الرحمان بن ادريس بن عمر بن عبد القادر التتيلاني إلى ثغر الجزائر عام 1231هـ، 1816م، دراسة وتحقيق خير الدين شترة، بوسعادة، الجزائر: دار كردادة للنشر والتوزيع.
- 5 - جريدة الإلكترونية الوطنية المعتمدة الجلفة إنفو: <https://djelfainfo.dz/ar>
- 6 - الرواية الشفوية.
- 7 - بن سالم المسعود، (2025م)، أعمال الصحفي والمترجم العسكري مارك أنطوان آرنو حول منطقة الجلفة (الجزء الأول) - ترجمات من رحلة استكشاف منطقة الجلفة 1860م - 1863م، الجلفة، الجزائر: منشورات الجلفة إنفو.
- 8 - سجل الأم للحالة المدنية لبلدية الزعفران.
- 9 - قتان جمال، (2016)، نصوص سياسية جزائرية في القرن التاسع عشر 1830، 1914، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.

- 10 -المبشر، (الحكومة العامة للجزائر)، مطبعة الدار السلطانية، عدد 14 - 30 مارس 1848م، عدد 26 - 30 جوان 1848، عدد 130 - 30 جانفي 1853م.
- 11 -مجلة خيمة التراث الشعبي الإلكترونية: <https://turath.djelfainfo.dz>
- 12 -مجموعة مؤلفين، (2017)، مقاومة الشيخ موسى بن الحسن المدني الدرقاوي 1831م - 1849م، الجلفة، الجزائر: دار الجلفة إنفو للنشر والتوزيع.
- 13-Archives nationales d'outre-mer, France
(<https://anom.archivesnationales.culture.gouv.fr/>)
- 14-August Margueritte, (1869), *Chasses de l'Algérie et notes sur les Arabes du sud*, 2eme Edition, Paris : Jouvet Et Cie Editeur.
- 15-Du Barail François Charles, (1898), *Mes Souvenirs 1851- 1864*, Tome 02, Paris : Libraire Plon.
- 16-François De Villaret, (1995), *Siècles de Steppes- Jalons pour l'histoire de Djelfa*, 02e partie, Ghardaia, Algérie : Centre de Documentation Saharienne.
- 17-H. D'Ideville (le Cte), (1882), *Le Maréchal Bugeaud d'après sa correspondance intime et des documents inédits 1784-1849*, 03e tome, Paris : Libraire de Firmin –Didot et Cie.
- 18-*Journal des débats politiques et littéraires* : Samedi 24 Janvier 1846, Dimanche 12 Février 1854, Mercredi 07 Septembre 1853.
- 19-*L'Afrique- Journal de la colonisation*, No19, Mardi 26 Novembre 1844.
- 20-*L'Espérance*, No 43, Vendredi 30 Mai 1845.
- 21-*Le 20 Décembre- courrier de Limoges* / dir. Gustave de Burdin, No 241, 04 Novembre 1852.
- 22-*Le Constitutionnel*, No 132, Mardi 12 Mai 1846.
- 23-*Le Moniteur Algérien*: No 677, No 808, No 815, No 1232.
- 24-*Le Moniteur Universel*, No 43, 12 Février 1854.
- 25-*Le Pays -journal des volontés de la France*, No66/ 1854, No22/ 1853.
- 26-M. Bequet, (1848), *L'Algérie en 1848- tableau géographique et statistique*, Paris : Libraire de L. Hachette et Cie.
- 27-*Revue Africaine*: Société Historique Algérienne, Jourdan libraire Editeur, Alger, No 212-213/ 1894, No 54/ 1865, No 287/ 1912, No101/ 1873.
- 28-Marie Monge, *les Ksar du Sahara, Revue de l'Orient, bulletin de la société orientale*, 06e tome, Cahiers 21 à 24, Paris, 1845.

